الأحرار ٣١ تشرين الأول ١٩٥٢

في الإقتصاد اللبناني

الحركة هي موحدة الحياة هذه في البلاد

بقلم ميشال شيحا

كتب حضرة المفكر الأستاذ ميشال شيحا، مقالاً في الزميلة "ليجور" عن الأقتصاد اللبناني، رأينا أن نمر به إلى القرّاء لما تضمنه من آراء صحيحة، قال الأستاذ شيحا :

لنكن على هدى، فليست محاصيل الأرض ولا منتجات الصناعة هي قوام حياة اللبنانيين، إنما هي الحرية ونُظم معتدلة لجباية الأموال الأميرية، عندما يعرف التشريع الضرائبي أن يبدو متفهماً ومعولاً – وليست الحالة هكذا دائماً.

المال الأجنبي الذي يتدفق نحو لبنان، لا يأتي إلاً لدواعي طمأنينة ورفاهية، فإذا ما طردته الضريبة وصدّه الحرب، وجب الإكتفاء للتغذية بالزيتون وبالجبن، وعدم الطموح الى الإحتفاظ بالمستوى الإجتماعي الذي جعلناه لأنفسنا بين الأمم.

إنه لصبياني حقاً الإفتكار، ونحن في هذه المنطقة الجبلية ذات الخطوط الكبرى للمواصلات، لو أن سياراتنا أقلّ لكانت المعيشة أغزر.

فإن صناعتنا الصغيرة حتى وارنبيطنا زهيد جداً. فهناك بعض الإستثناءات المواتية ولا شك، ولكن القاعدة هي القاعدة، ومستوى حياة اللبنانيين ناجم عن العمليات والتسويات والإنفاق التي تعتمد على الضيف.

ويوم يرى الأجنبي أنه ليس من مصلحته أن يكون له ما يخصه عندنا، يوم يرى أن الإنتقال إلى أماكن أخرى أجدى وأكثر طمأنينة، فإنه يومذاك لن يصرف في لبنان ما يصرف ولن يبني. وهكذا فإن ضريبة تصاعدية على القيم التأجيرية للأملاك يمكن أن تكون عندنا خطأ كبيراً، أو على الأقل بقدر القسوة في قانون التركات. فهل تراهم يريدون الكف عن البناء، والتوقف عن العيش والموت في لبنان ؟

ليس من الضروري أن نتخذ من البلدان الأجنبية مثلاً نحتديه بل هي المصلحة العامة اللبنانية التي يجب أن تكون همنا وقانوننا، يجب أن نعمل ما يستقيم به أمرنا لأن ما يقترحه خياليو الصين ...

" يعيش الإنسان بالشوربا الجيدة لا بالعباءة المنمقة"

إربح واجعل غيرك يربح. هذه هي هنا القاعدة الذهبية. فإذا كانت حدّة الذهن والذكاء ومصادر الإبتكار اليومي المتعددة لا تشجعها الدولة، فيريد اللبنانيون شعباً قروياً لا مستقبل له في أكواخنا المفقودة، بينما هي الحركة التي تبعث الحياة، الحركة نحو العربية ؛ الكويت، الظهران، كالحركة نحو الأميركتين، وهذا بالحصر ما فعله الفينيقيون منذ ثلاثة آلاف سنة، فكانوا يسافرون بحماسة ونشاط بقدر المستطاع، بدون جواز، معتمدين إما السفينة وإما القافلة.

وعندما يتدبر الإنسان على هذا الشكل لكسب معيشته مع رفع مستوى معيشة مواطنيه، فإنه يستحق ألآ يرى نفسه مقيداً بلا حق في حريته.

لا من الدولة ولا بالدولة يعيش لبنان أكثر جدوى وأكثر فائدة إدارة الدولة.

وفي أيامنا هذه، يجب على الدولة بلا شك أن تتدخل أكثر من الماضي. ولا ينبغي أن يكون ذلك مقتصراً قدر الإمكان وبتحفظ مثالي، فكل موقف إذا ما أخذ على حدة كان أكثر حجما" وأوسع تفكيراً من الدولة. والتجربة اللبنانية تعيش قبل كل شيء من السرية خلافاً لما تفرضه الدولة أو تقترحه.

هذه أمور يجب توضيحها للشعب أفضل من بسطها الى بعض الأدمغة المختصة. فكل الصناعة اللبنانية مجتمعة ومهما كانت جديرة بالتشجيع، لا يمكنها أن تعيل عشرة آلاف عائلة. وجميع منتجي الأرض عندنا لا توصلنا إلى أكثر من صحن عدس، ولكن المستقبل ليس للتفاح بقدر ما نجد لتفاحنا هنا وأبعد من هنا زبائن.

وبانتظار تكاثر التفاح يجب أن لا ننسى تكاثر الخبز.

ومن غير اطلاع عميق على النفقات اللبنانية وعلى حالة اللبناني، لا يمكن لأجنبي مهما كان عبقرياً أن يستثمر وينجح.